شرارة آذار

دعوة للتفكير بصوت مرتفع

العدد ٨٨ ٢٠١٣/١٠/٢٠-٢٦

INFOSHRARA@GMAIL.COM

من هو الديكتاتور؟

شتاء النازحين

سياسات اوباما

الرقيب الخالد

عرفت الجحيم

المناطق المحررة تحتاج لمجالس تديرها لا تسيطر عليها

صبر درويش

لا يكف السوريون عن البحث عن رهانات تتعلق بمستقبلهم المقبل، وخصوصا بعد أن تحول الصراع في سوريا من ثورة إلى حرب أهلية تزداد قسوتها وعنفها يوما بعد يوم.

كان الرهان في أن نشبه من سبقونا في إسقاط طغاتهم، فينتفض الشعب بضعة أشهر وتنحاز مؤسسة الجيش إلى الشعب -كما حدث في تونس ومصر- وتبدأ مرحلة جديدة من التغيير، فشل الرهان، وانحاز الجيش إلى زعيمه، ودخلت البلاد في أتون حرب من المعروف جيدا كيف ومتى بدأت، بيد أنه من الصعب التنبؤ بخواتيمها.

وتوجه الشعب المنتفض فيما بعد إلى دول العالم المتمدن، وراهن على فلسفتهم في حق الشعوب بتقرير مصيرها، وخذل الشعب المذبوح مرة أخرى؛ وتوجه إلى الغيب، وخذله الغيب مرة ثالثة؛ فكان لابد والحال كذلك من إعادة الاعتبار للرهانات من جديد.

على هذه القاعدة بالتحديد، بدأت قوى الثورة السورية بإعادة الاعتبار لقواها الذاتية وتحديدا تلك التي ماتزال داخل البلاد، وبدأت بالبحث عن إمكانيات جديدة للخروج من هذا النفق، والانتقال بالبلاد إلى بر الأمان. وقد بدا أن السيطرة على المدن المحررة وحسن إدارة شؤنها ومنع تسرب الفوضى إليها، واحدا من أهم الرهانات المطروحة على قوى الثورة.

لا أحد ينكر اليوم التخبط الذي أصاب الثوار في إدارة مدنهم المحررة، فقد وجد المدنيون أنفسهم وجها لوجه أمام مهام لم تكن تخطر على بال حتى الحالمين منهم، فجأة لم يعد من سلطة للدولة ومؤسساتها على عشرات المدن السورية، وفجأة كان على السوريين أن يبتكروا سلطاتهم البديلة. وكانت المصاعب التي واجهت قوى الثورة لا تعد ولا تحصى، ليس أولها رحيل قسم كبير من الكوادر المتعلمة، والقصف اليومي والدائم على هذه المدن والبلدات.. وليس آخرها رغبة بعض التشكيلات العسكرية المعارضة في بسط هيمنتها على المدنيين، والاستحواذ على سلطة لم تولد بعد. كما حدث ويحدث في الرقة اليوم وفي شمال سوريا عموما. يقول السيد ماجد أبو علي وهو أحد المسؤولين الطبيين في دوما، "أن المناطق المحرر بحاجة إلى مجالس لتديرها لا لتحكمها وتتخذ عنها قرارات سياسية.. إن إدارة المناطق المحررة تحتاج كفاءات وشهادات وخبرات وكل في اختصاصه، بغض النظر عن المشارب السياسية لهذه الكفاءات، وبالتالي يتطلب ما يشبه حكومة تكنوقراط مصغرة لكل منطقة وليس رئاسة وحكم ومشيخة و إمارة.. "

التتمة صفحة.. ٢..

شتاء النازحين: سوريون يواجهون الصقيع في العراء

سلام السعدي

على أبواب فصل الشتاء، يستعد السوريون بقلق كبير، لمواجهة كارثة الصقيع والتدفئة في سورية، فمع قلة ذات اليد، ومعاناة النزوح، والإقامة في مساكن بائسة مفتوحة على العراء، ومع غياب الحد الأدنى من خدمات الدولة، ينتظر السوريين الكثير من الصقيع والمرض، والقليل من الدفء والعافية.

في غرفة بائسة (على العظم)، واجه أبو معن، النازح من مدينة داريا إلى صحنايا قبل عام، وحول شتاء العام الماضي وأمراضه وصقيعه. يستذكر الشاب الثلاثيني بمرارة، معاناته وعائلته مع قسوة الظروف المناخية في ذلك الشتاء القارص، يقول أبو معن مشيراً إلى نوافذ البيت، وهي فتحات في الجدار، «هل يمكن لمرء أن يتخيل أنني قضيت مع أطفالي شتاءً كاملاً في غرفة من دون نوافذ، ومن دون وسيلة تدفئة؟!.. ويتابع مجيباً، «نعم، حصل ذلك، لقد كنت أغلق النوافذ بالنايلون والبلاستيك، كانت تصمد ساعات فقط، قبل أن تعصف بها الرياح العاتية، وكنا نتدفأ على الأعواد التي اجمعها من الشارع، وكم يرعبني اليوم، أن أسابيع قحسب، باتت تفصلنا عن تجدد المعاناة».

أبو معن ليس حالة خاصة، وهو السوري الذي فقد منزله، ومصدر عيشه، ولجأ إلى عمارة قيد البناء، بل يوجد الملايين من السوريين ممن يعيشون في مناطق النظام، ويكابدون معاناة مماثلة. هذا فضلاً عن ملايين أخرى في المناطق المحررة ممن تحطمت أبواب منازلهم ونوافذها، وانفتحت بصورة مفزعة على العراء، فيما يمنع الحصار المفروض على مناطقهم أي قدرة لترميم ضروري، يخفف عنهم صقيع الشتاء. وتزداد المعاناة بسبب غياب مادة المازوت وارتفاع أسعارها في صورة لا طاقة لهؤلاء الملاحقين في عيشهم على احتمالها.

أما الذين سلمت منازلهم من قصف النظام السوري، ولا زالوا يعيشون في كنفه، فلم تسلم دخولهم الشهرية من ذلك، ففي ظل حالة الانهيار الاقتصادي التام، سقطت مادة المازوت من جدول نفقات الكثير منهم، وانتقلت لدى بعضهم من قائمة ضروريات المعيشة، إلى قائمة الكماليات، إذ إن «مازوت الحكومة، المدعوم، كان بعيد المنال أصلاً في شتاء العام الماضي عندما سجل سعر الليتر ٣٠ ليرة، كيف به اليوم، وقد قفز سعره بمعدل ١٠٠ في المئة؟!.

لكن أبو احمد، وهو رب أسرة مؤلفة من ثلاثة أطفال، لا يستطيع إسقاط هذه المادة من حساباته، يقول «مع ارتفاع وتيرة انقطاع التيار الكهربائي لتصل إلى ١٠ ساعات في الشتاء، ووجود طفل رضيع لدي، لا يمكنني بأي حال أن استغني عن المازوت للتدفئة». ويضيف، «وحتى مع رفع السعر إلى ٦٠ ليرة، أتمنى بشدة أن تفي الحكومة بما تقطعه على نفسها من وعود وما تطلقه من تصريحات، وأن تبيعنا المازوت بهذا السعر، من دون أن اضطر للمزاحمة ساعات وأياما، في محطات الوقود أمام طوابير لا تنتهي، لأحصل عليه بسعر ١٠٠ ليرة، كما حصل معي في الشتاء الماضي».

وعود وادعاءات الحكومة السورية لا تتوقف، إذ أعلنت أخيراً، أنها ستخصص لكل عائلة ٤٠٠ ليتر مازوت بالسعر المدعوم، للتدفئة المنزلية في شتاء هذا العام. وادعت، كما فعلت في العام الفائت، أن توزيع المازوت «سيتم وفق آليات منظمة، لضمان وصول المادة إلى كل منزل وعائلة».

وفيما يشتكي كثيرون من السوريين من عدم استلام أي دفعة مازوت في العام الماضي، يشرح عصام، الموظف في القطاع العام، عن تجربته، «استلمت دفعة واحدة في الشتاء الفائت، كانت الأولى والأخيرة»، ويتابع، «بعد أن كنا نعاني نقص مادة المازوت، أصبحنا أمام انعدامها التام، حتى في مكان عملي وهو هيئة حكومية، افتقدنا التدفئة في العام الماضي بسبب انقطاع المازوت، لا أعرف أين يذهب المازوت إذاً؟!».

فيما حذر نقيب عمال النفط بدمشق علي مرعي، من «أزمة مازوت كبيرة ستشهدها محافظة ريف دمشق خلال الشتاء»، إن لم تسرع «شركة محروقات» بإيجاد مقر جديد لفرعها وخزاناتها بدلاً من تلك «المخربة». هذا وتستوعب الخزانات التي فقدت الحكومة السيطرة عليها مئات الملايين من الليترات، وتسد حاجة محافظة ريف دمشق، واعتبر مرعي أن «قرار الحكومة تخصيص كل عائلة بـ ٤٠٠ ليتر مازوت، لن يقدم و لن يؤخر في حال عدم التصدي للأمور التي تسببت بأزمة الشتاء الماضي، والتي حُرمت خلالها النسبة العظمى من المواطنين من مازوت التدفئة، ومنها موضوع الخزانات».

ومنها أيضاً، ما أغفله مرعي اليوم، وكان قد كشف عنه بنفسه في العام الماضي، عندما اتهم «شركة محروقات» بتزويد محطات متوقفة عن العمل بملايين الليترات من المازوت، وقال حينها، «هذا أمر غير طبيعي، ولا يمكن تبريره بأنه خطأ، لأن الخطأ، لا يمكن أن يتكرر بأذون عدة شحن لمصلحة محطة واحدة»، في قرارة نفسه، يعرف مرعي أن هذا هو «الأمر الطبيعي»، وأن السلطة التي ينتمي إليها، هي عائمة أصلاً على بحر من الفساد، كان قد تشكل عبر قرون طويلة من نهب مقدرات السوريين، والحالة تلك، فلن تتحول السلطة، بقدرة مرعي وبمراسيم الإصلاح، إلى أم رؤوم، تمنح أبنائها الدفء والطمأنينة... والمازوت.

تتمة: المناطق المحررة بحاجة إلى مجالس لتديرها لا تحكمها

صبر درويش

في دوما وهي واحدة من أكبر مدن الغوطة الشرقية، تم الاعلان عن تشكيل مجلس محلي منتخب، سعى القائمون عليه إلى التركيز على المختصين والمتعلمين في إدارة شؤون المدينة، ولم يكن هذا الاعلان عن تشكيل المجلس المحلي هو الحدث، فقد عمدت عشرات المدن في محيط دمشق إلى مثل هذا التشكيل، الحدث تمثل في البيان الذي صدر عن جيش الاسلام بزعامة زهران علوش، والذي ادان فيه تشكيل هذا المجلس والذي وضع حدا لمجلس الشورى التابع لزهران ذاته، حيث اعتبر أن الاعلان عن تشكيل هذا المجلس فيه شق للصفوف وزرع للفتنة.. إلخ، وفي الوقت ذاته اعتبر بعض القادة العسكريين في بيان علوش تدخلاً غير مقبول في شؤون المدنيين، يقول السيد سليم حجازي قائد لواء الشام، " إن فرض السلطة على المدنيين بغض النظر ان كان من الشيخ زهران او غيره هو امر مخالف لثورتنا، فعندما حملنا السلاح حملناه لأجل المدنيين وكرامتهم لا لأجل ان تحكمهم به ".

وفي المقابل اعتبرت العشرات من فعاليات الثورة المدنية في هذا البيان تدخلا سافرا من قبل العسكريين في شؤون المدنيين وحقهم في اختيار شكل ادارة مدنهم، وأصدروا بيانا يدينون فيه أي تدخل من قبل العسكريين في خيارات المدنيين.

وأيا يكن الأمر، فإن المهم هنا بروز صراع بين سلطات متعددة تسعى البعض منها إلى بلورة تجربة تستلهم ولو الحد الأدنى الذي توفره ظروف الحرب من الوسائل الديموقراطية في إدارة مدنهم، وسلطات تسعى إلى أن تكون سلطة استبدادية بديلة عن تلك التي خرج السوريون لاسقاطها، يقول السيد بسام وهو أحد الناشطين المدنيين في دوما، " بالنسبة لامكانية المواجهة مع بعض القادة العسكريين، أعتقد ان الاجابة عن هذا السؤال مرتبطة بالمخزون الثوري الذي اختزنه الناس خلال سنتين ونيف من عمر الثورة، عاشها الناس في مدرسة الثورة، فترسخت عندهم مبادئ وقيم جديدة.. إن نظرة من بعيد على تلك الشريحة التي عاشت الثورة، تجد أن تغيرا كبيرا قد طرأ على طريقة تعاطيهم مع الواقع وهذا التغيير في الأساس يقوم على رفض سياسة الامر الواقع التي كان نظام الأسد ينتهجها، وشعور أولئك الناس انهم حصلوا على مكتسبات من الثورة وكان ثمن هذه المكتسبات باهظ الثمن قد تكون خسارة منزل او ابن او اخ او عائلة او عضو من اعضاء الجسم.. ولذلك فلن يتراجع اولئك الناس عن مكتسباتهم تلك قيد انملة ".

في الحقيقة يكمن الرهان هنا بالتحديد، على أولئك الذين دفعوا الضريبة الباهظة عبر السنتين الماضيتين، والذين أصروا على المضي في طريق اسقاط حكم الاستبداد، وهم لم يفعلوا ذلك كي يستبدلوا سلطة استبدادية بأخرى شبيهة بها، بل فعلوا ذلك كي يفتحوا أفقا تتمكن من خلاله الأجيال المقبلة من العيش بكرامة، وهي رسالة لم تصل للنظام الأسد سابقا، وهي لا تصل اليوم إلى أولئك الذين ينصبون أنفسهم أوصياء على الثورة وعلى الشعب الثائر.

بيد ان هذا الصراع الدائر اليوم داخل صفوف الثورة –وهو صراع صحي طالما بقي تحت السيطرة- يحتاج إلى الكثير من الدعم، دعم النويات الإيجابية للثورة الممثلة بحراك مدني بدأ يشق طريقه منذ قليل، وهو عبأ تتحمل قوى المعارضة قسطاً كبيراً من مسؤوليته، يقول السيد بسام، " إن منظمات المجتمع المدني وناشطي الثورة المدنيين وأخص بالذات معارضة الخارج التي تمطرنا بكلام منمق كل يوم عن وقوفها مع المحاصرين بالداخل والى جانب ثورة الحرية والكرامة فإننا نوجه رسالة لها بأنه يقع على عاتقها حاليا مسؤولية تاريخية في المحافظة على مكتسبات الثورة المدنية وما حققته الى الآن على صعيد بناء الانسان الحر وممارسته لحقوقه المدنية، في ان تعمل بكل جهدها وامكانياتها الحالية لترجيح كفة الاتجاه المدني الذي ينحاز الى مصلحة الانسان البسيط الفقير والى عدم مصادرة صوته سواء من رجال الدين او من القادة العسكريين او من المستفيدين العلمانيين او دعاة المدنية المزيفين". ويختم حديثه بالقول، الشعب وحده هو صاحب القرار وهو القادر على تحديد مستقبله وطريقه عيشه وبدون وصاية من احد.

في الحقيقة لم يعد السوريون يقاتلون على جبهة واحدة، بل فرض عليهم اليوم، القتال على عدة جبهات، وقد تكون الجبهة الداخلية للثورة هي الأصعب والأكثر خطورة.

عن السياسة الأوبامية الشرق أوسطية

ماجد كيالي

يصعب على كثيرين فهم أو تفسير السياسة التي تنتهجها إدارة أوباما في الشرق الأوسط، لاسيما في المسألة السورية، والتي تبدو سيبورة، وهادئة، والأصح منكفئة. وتعتمد الوسائل الدبلوماسية، وذلك بالقياس للسياسات التي طالما انتهجتها الإدارات الأميركية، منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، والتي اتسمت في أغلب الأحيان بالتسرع والتجبر والتدخل، باستخدام دبلوماسية القوة، وحتى «الحرب الوقائية».

وكانت السياسات الأميركية إزاء الشرق الأوسط تركز على أربعة أهداف، أولها، الحفاظ على تدفقات النفط. وثانيها، ضمان أمن إسرائيل وتفوقها النوعي. وثالثها، حماية الأنظمة الصديقة. ورابعها، الحؤول دون تمكين أية دولة أخرى من الهيمنة على المنطقة.

لكن مراجعة هذه السياسات تمكننا من ملاحظة أن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على ضمان كل هذه الأهداف، بعد التحولات الحاصلة في مدخلات عوامل القوة في العلاقات الدولية والإقليمية، والتي لم تعد تقتصر على القوتين العسكرية والاقتصادية، إذ دخلت عوامل أخرى ضمنها، ملاءمة هذه السياسات للتوازنات الدولية، وتناسبها مع المصالح الداخلية (المجتمعية)، ناهيك عن صعود المجتمع المدني في تقرير السياسات العالمية وشرعنتها.

القصد من ذلك التوضيح، أن التغير الحاصل في طبيعة عمل السياسة الخارجية الأميركية ليس دليل تراجع في قوة الولايات المتحدة، لا عسكريا ولا اقتصاديا ولا تكنولوجيا، فهي مازالت الأقوى في العالم، وإنفاقها العسكري يشكل نصف الانفاق العالمي في هذا المجال، وإذا حسبنا تفوقها التكنولوجي والعلمي فهذا يبين كم هي الفجوة على الصعيد العسكري بينها وبين كل الدول الأخرى. وحسب فريد زكريا (في كتابه، «عالم ما بعد أميركا»)، فإن القصة هنا لا تتعلق بتراجع قوة الولايات المتحدة، التي يرى انها نجحت في الحفاظ على قوتها، منذ مابعد الحرب العالمية الثانية، بقدر ما تتعلق بصعود قوى أخرى، كانت تأثرت في تلك الحرب، واستعادت عافيتها على مر العقود الماضية.

عدا عن هذا العامل، فمما لاشك فيه أن السياسات غير العقلانية والمكلفة التي انتهجتها إدارة بوش الابن في أفغانستان والعراق، والتي كبدت الولايات المتحدة خسائر باهظة، في الأرواح والأموال، وفي السمعة، لعبت دورها في اضعاف الميل لدى صانع القرار الأميركي للدخول في هكذا تجارب، ناهيك عن أنها أسهمت في إصابة الاقتصاد الأميركي بشكل موجع، في مطارح عدة، وهو ما تبدى في الأزمات الاقتصادية التي شهدتا الولايات المتحدة تعاني منها مؤخرا.

على ما تقدم، فإن السياسة التي تنتهجها الإدارة الأميركية الحالية لا تتعلق بسوريا فقط، ولاتنبع من وجود رئيس بعينه، أوباما مثلا، إذ شهدنا أن الولايات المتحدة اشتغلت في موضوع ليبيا (النفطية) من الخلف، وأن بريطانيا رفضت التدخل العسكري في الشأن السوري قبل الولايات المتحدة، وها نحن نشهد التجاذب الحامي بين إدارة أوباما ومجلس النواب الأميركي حول موضوع الموازنة الأميركية، ما يبين الوضع الحرج الذي تجد إدارة أوباما نفسها فيه.

داخلياً، في ظل هذه الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة.

وفي أي حال، فإن المراجعة، أو الانكفاء، في السياسة الأميركية إزاء الشرق الأوسط، لم يبدأ في عهد الرئيس أوباما، وإنما حصل في عهد الرئيس بوش الابن، فهذه هي التي تخلت عن احد أهداف السياسة الأميركية التقليدية، بتراجعها عن مبدأ حماية الأنظمة «الصديقة»، في المنطقة، وفي ميلها لتغيير الأنظمة، حتى بوسائل القوة، وفي سعيها لمخاطبة مجتمعات المنطقة مباشرة، من وراء ظهر حكوماتها، وهو ما تم تشريعه في استراتيجية بوش للأمن القومي الأميركي، التي تم وضعها في سبتمبر/أيلول (٢٠٠٢). وطرحت هذه الاستراتيجية مشروع الإصلاح السياسي و«نشر الديموقراطية» في العالم العربي، ما أدخل إدارة بوش في مناكفات مع عديد من الدول العربية «الحليفة» وقتها، أيضا. فإن إدارة بوش ذاتها هي التي سمحت لإيران بفرض هيمنتها على العراق، ما يفيد بأنها فرطت بهدف ثان من أهداف السياسة الأميركية، التقليدية في الشرق الأوسط.

هكذا، فإن إدارة الرئيس أوباما ليست فقط تصد، أو تقلل، من مخاطر تركة الرئيس بوش المتعلقة بالتدخلات العسكرية، وبالخسائر الاقتصادية، وإنما هي تواصل تركته المتعلقة بالتخلي عن الأهداف الرئيسية للسياسة الأميركية الشرق أوسطية، في إبدائها الاستعداد للعمل بالتشارك مع قوى أخرى، ولاسيما روسيا، في إعادة ترتيب الأوضاع في المشرق العربي، من مدخل ترتيب مستقبل سوريا.

بديهي أن هذا التحول هو رد فعل على الخسائر الاقتصادية والبشرية، التي تكبدتها الولايات المتحدة في العقود الماضية، وتعبير عن تعب أميركي من الشرق الأوسط، المرهق، وغير المفهوم، و«المتنكر»، بالنسبة لها، وهو أيضا بمثابة محاولة أميركية لمراعاة واقع صعود قوى أخرى، بدلا من مصارعتها.

ومع أهمية كل ما سبق، فإن التحول الأميركي الحاصل هو نتاج خيارات أخرى، أيضا، باتت متاحة أمام الولايات المتحدة، ضمنها، أولا، اطمئنانها لمستقبلها بشأن مخزونها من الغاز والنفط، مع الكشوفات الجديدة التي تفيد أن بإمكانها - في غضون العقد المقبل - ليس الاستغناء عن نفط الشرق الأوسط، فقط، وإنما أن تتحول إلى مصدرة له. ومع توقعات تفيد بإمكان إزاحتها روسيا عن مكانة المصدر الأول للغاز في العالم. ثانيا، تحول اهتمامها نحو مناطق أكثر أهمية في العالم لأمنها القومي، ولمصالحها الإستراتيجية السياسية والاقتصادية والعسكرية، فيما بات يعرف بالتوجه شرقا، مع وجود نخب باتت تعتقد بأن ما يجري في الصين والهند واليابان، ودول أميركا اللاتينية، أهم بكثير لأميركا، لمصالحها وأمنها، مما يجري في الشرق الأوسط، بتعقيداته ومتاعبه. ثالثا، يعتقد الرئيس أوباما أنه يصنع ثورته داخل الولايات المتحدة، بوقف التدهور الاقتصادي، وبخلق فرص وظيفية، وبتخفيض نسبة البطالة، وبإقرار الضمان الصحي.

مع ذلك ثمة ما يعزز الاعتقاد بأن أميركيا لن تتخلى عن الشرق الأوسط، بسبب الهدفين الآخرين (النفط وإسرائيل)، وإنما هي ستتخلى عن شكل علاقتها فيه، وطريقة سعيها لفرض وجودها ومصالحها. طبعا، هذا كله يحدث بسبب غياب فاعلية العالم العربي، وسلبيته، واقتراضه أن على الآخرين القيام بما ينبغي عليه القيام به، لاسيما مع حفاظه على بقائه خارج التاريخ، بتخلفه وتكلس نظمه وتهتك مجتمعاته وغربته عن العالم.

هذا يحدث من سوء حظ السوريين، الذين يدفعون باهظا ثمن أشياء كثيرة، وضمنها ثمن الانكفاء الأميركي، وثمن التردد الدولي، إزاء ما يكابدونه من أهوال وعذابات.

الحرد السعودي

جمانة فرحات

السعودية اختارت "الحرد"، لا أكثر ولا أقل. امتنعت خلال الجمعية العامة للأمم المتحدة عن القاء كلمتها، وهو حدث لم ينتبه الكثيرون له أصلاً، ثم لفظت المقعد الذي حظيت به في مجلس الأمن لمدة عامين بصفتها من الأعضاء غير الدائمين.

التسليم بحق اي دولة باتخاذ مثل هذه الخطوة الجريئة، أمر لا جدال فيه، وخصوصاً أن الأمم المتحدة برمتها وليس مجلس الأمن فقط بحاجة إلى اصلاح، كونها لم تكن يوماً سوى منفذ لمصالح وسياسات الدول الدائمة العضوية، وسيفاً مسلطاً على على من يخالف هذه الدول.

وسبق للعديد من الدول ان قدمت مشاريع من اجل اصلاح الأمم المتحدة، وتحديداً في ما يتعلق بجزئية توسيع عدد أعضاء مجلس الأمن وانهاء احتكار الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا والصين وفرنسا له.

إلا ان مشكلة السعودية تختلف كلياً عن هذا السياق، وإن حاولت الانطلاق من شلل مجلس الأمن لتبرير رفضها للمقعد.

المبرر الأول الذي ساقته الرياض، في البيان الصادر عن وزارة الخارجية السعودية، اعتبر أن "فشل مجلس الأمن في جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من جميع أسلحة الدمار الشامل، سواء بسبب عدم قدرته على إخضاع البرامج النووية لجميع دول المنطقة دون استثناء للمراقبة والتفتيش الدولي أو الحيلولة دون سعي أي دولة في المنطقة لامتلاك الأسلحة النووية، يعد دليلاً ساطعاً وبرهاناً دامغاً على عجز مجلس الأمن عن أداء واجباته وتحمل مسؤولياته".

أما المبرر الاضافي فأشار إلى "بقاء القضية الفلسطينية من دون حل عادل ودائم لخمسة وستين عاماً والتي نجم عنها عدة حروب هددت الأمن والسلم العالميين".

مشكلة هذين التبريرين أنهما مستهلكان، فالسعودية أكثر من غيرها تدرك أن حليفتها الولايات المتحدة، على وجه التحديد، غير معنية على الاطلاق بأي تسوية جدية للقضية الفلسطينية، وأن المجلس لن يجرؤ على اتخاذ قرار يدين اسرائيل سواء في ما يتعلق بعملية السلام او الانتشار النووي.

تتمة صفحة.... ٤..

حب فلسطين وكره الفلسطينيين

ساري حنفي

في ظل تداعيات الثورة السورية، نشأت مشكلة إنسانية كبرى تتمثل بالتلاع أكثر من أربعة ملايين سوري من ديارهم، نصفهم تزح داخليا والنصف الآخر لجأ الى الخارج، ولا سيما الى الدول المجاورة (لبنان، الأردن وتركيا).

وتشكل حالة اللاجئين الفلسطينيين في سوريا الأكثر صعوبة، حيث تم تحويل بعض تجمعاتهم الى ساحات معارك بسبب موقعها الجغرافي، إذ أنها تقع على حدود الموت حيث احتدمت المعارك بين الجيش السوري الحر والجيش النظامي السوري في مخيمات اليرموك، التل، عائد، الرملة، الخ...

وبينما تم التجاوب الى حد ما مع حركة لجوء السوريين، أوصد باب اللجوء كليا بوجه الفلسطينيين. ولا سيما في دول أعلنت دعمها لمكونات سوريا السكانية. هذه الدول هي لبنان، الأردن، تركيا، قطر، الامارات العربية المتحدة والسعودية.

أظهر بحثنا الميداني حول الفلسطينيين من سوريا، أن لبنان قد أوصد بابه امامهم منذ بدء شهر آب ٢٠١٣. إلا في حال اثبات اللاجيء أن لديه فيزا وتذكرة سفر للمغادرة عبر مطار بيروت. إلا أن الفساد في لبنان كان "نعمة". على الأقل من وجهة نظر بعض المقتدرين الفلسطينيين الذين رضوا بدفع رشوة ١٠٠ دولار للفرد للدخول الى لبنان.

أما الأردن وقطر والسعودية والامارات العربية المتحدة فلم تقفل فقط أبوابها بوجه اللاجئين الفلسطينيين، ولكنها منعت أيضا حتى لم الشمل، ولا يعتبر ذلك فقط انتهاكا لتعاهدات حماية اللاجئين ولكن أيضا انتهاكا لحق أساسي من حقوق الانسان.

حاولت التدخل في حالة طالب فلسطيني من سوريا أمه أردنية الأصل لكي يسمح له بدخول الأردن حيث تم قبوله من احدى جامعاتها، وقد استعنت بشخصيات أردنية سياسية مرموقة ولكن عبثا. وقال لي أحدهم إنه لا يسمح لدخول أي فلسطيني سوري اذا كان عمره ٦ سنوات ويوم واحد، وذلك لأسباب أمنية. إذا يصبح الفلسطيني ارهابيا منذ نعومة أظفاره.

وما اثار الذهول في زيارتي الأخيرة لعمان وتصفحي لصحفها حراك نسائي ونسوي هناك حول قضايا هزيلة تظهر أن الحركة النسوية هي أقرب لحركة "صالونات" أكثر منها حركة فعلية لتحرر المرأة. فتحرر المرأة يبدأ من الاعتراف بمواطنيتها وبحقها في توريث جنسيتها أو على الأقل منحها الإقامة لأطفالها وزوجها، وذلك أضعف الإيمان.

قد يتساءل المرء لماذا هذه المفارقة بين المواقف السياسة والممارسة الحدودية في هذه الدول. الفرضية الأكثر تجليا بالنسبة لي هي الفصال وهيمنة الجهاز الأمني عن السلطة السياسية المفترض أن تكون منتخبة.

لقد تضخمت البيروقراطية الأمنية لدرجة أنها أصبحت توجه السياسي بدلا من أن تأخذ توجيهاتها منه. يقوم السياسي بإصدار تشريعات تحاول محاكاة اعراف ومواثيق حقوق الانسان، بينما يقوم الأمني بخلق حالة استثناء، بالمعنى الذي اعطاه الفيلسوف الإيطالي جورجيو اجامبين له، أي تلك التي تهدف الى اقصاء غير المرغوب بهم والذين يشكلون فئة "يحتمل أن تكون خطرة"، وعدم الاستفادة من تشريعات السياسي.

لا يعتبر تضخم السلطة الأمنية أمرا جديدا على الواقع العربي، فقد شعرت به منذ بدأت أسافر إلى الدول العربية. فقد كنت أعاني، كفلسطيني حامل للوثيقة السورية أن ذاك، ليس فقط من طول الأسابيع للحصول على فيزا، ولكن أيضا من طول الساعات على الحدود العربية (اذكر منها الأردن، مصر، تونس، الجزائر) لدرجة أنني قدمت اهداء في كتابي "هنا وهناك، نحو تحليل العلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز" الى رجالات الأمن في الحدود العربية؛ في "الفضل" لساعات الانتظار هناك التي شحذت ذهني لكتابة هذا الكتاب. لا أزال أتذكر حتى اليوم ذهول أخي الكبير عندما زارني في فرنسا وقطعنا الحدود إلى اسبانيا ولم يجد حتى شرطيا واحدا للاطلاع على وثائق سفرنا.

لقد أصر على العودة الى الحدود للحصول على ختم خروج حتى يستطيع الدخول مرة اخرى إلى فرنسا. عدت وقتها وطلبت من رجل البوليس ختم الوثيقة وقد فعلها ولسان حاله يقول "هؤلاء جاؤوا من المريخ!".

نعم ظهر العالم العربي وكأنه خارج التاريخ والجغرافيا العالمية. واذا كان كذلك، فالأمر اليوم لا يحتمل في ظل الربيع العربي. فالحراك الشعبي والتوق للديموقراطية بتجاوز تونس ومصر وليبيا واليمن، والمطلوب ليس فقط "اسقاط النظام"، لكن أيضا "اسقاط هيمنة البيروقراطية الأمنية" واخضاعها للسياسي.

هل يعتبر حصول الفلسطيني السوري على حق التنقل خطوة نحو التوطين؟ طبعا لا. من يستخدمون فزاعة التوطين هم الذين يبدأون دائما بمقولات كم هم يحبون فلسطين او أنهم ضد الامبريالية والصهيونية ومع تحرير كامل التراب العربي، ولا ننسى القدس طبعا. وكأنهم يقولون إن تحرير فلسطين يتم فقط على طريق حصار ومراقبة الفلسطيني، وذلك بمنعه من التنقل (أو حرمانه من حق العمل والتملك كما في حالة فلسطيني لبنان). وكأنهم يقولون لنا إننا نحب فلسطين ونكره الفلسطينيين.

لقد عكس هذه المفارقة استطلاع الرأي اجراه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (المؤشر العربي للعام ٢٠١١). وأظهر أن ٧٧ في المئة من اللبنانيين يعتبرون أن القضية الفلسطينية هي قضية جميع العرب وليست قضية الفلسطينيين (مقابل ١٧ في المئة يعتقدون أن القضية الفلسطينية هي قضية الفلسطينيين حدهم ويجب عليهم وحدهم العمل على حلها).

وفي مقابل هذه الارقام تمارس الدولة اللبنانية أسوأ انواع التمييز ضد الفلسطينيين في لبنان حارمة اياهم من ابسط حقوقهم.

لقد اسقطت روح الثورات العربية مقولة "لا صوت يعلو فوق صوت المعركة"، التي توجت لفكر هرمي يضع الأولوية للمعركة مع إسرائيل والامبريالية على حساب قضايا الديموقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية (بما فيها للاجئين ولعاملات المنازل). وقد ظهر ذلك جليا في خطاب بعض الأنظمة العربية ولكن أيضا بعض الأحزاب السياسية.

جمانة فرحات

تتمة: الحرد السعودي

ولذلك تبدو السعودية عاجزة على اقناع كثيرين بحقيقة أن هذين الأمرين هما السببان الأساسيان لـ "حردها". لذلك يبقى البرر الثالث الذي تطرق إليه البيان هو الأكثر اهمية، اذ أشار إلى أن "السماح للنظام الحاكم في سوريا بقتل شعبه واحراقه بالسلاح الكيماوي على مرأى ومسمع من العالم أجمع وبدون مواجهة أي عقوبات رادعة لدليل ساطع وبرهان دافع على عجز مجلس الأمن عن أداء واجباته وتحمل مسؤولياته".

جرائم النظام السوري ضد شعبه لا مجال للنقاش فيها. لكن منذ متى كانت السعودية تهتم للشعوب وارادتها او تدافع عنها؟ أليست هي من لقبت بشرطي الاحتجاجات العربية. ولم تأل جهدا للقضاء على الحراك في البحرين إلى أن اضطرت إلى التدخل بشكل مباشر عبر درع الجزيرة. وهي نفسها التي دفعت الغالي والنفيس في اليمن لمنع نجاح ثورته عبر المشائخ القبليين والعسكريين الذين تخصص لهم شهريا مئات الملايين من الدولارات. كما أنها هي نفسها التي استقبلت الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي، ولطالما ضغطت للافراج عن الرئيس المخلوع حسني مبارك. بالرغم من ثورة ٢٥ يناير هي تعبير عن ارادة شعبية حقيقية.

اذا المسألة ليست صحوة ضمير سعودية متأخرة تجاه الشعوب العربية وتحديدا الشعب السوري او حتى يأسا من مجلس الأمن بقدر ما هي الوسيلة /الفرصة الوحيدة المتاحة امام السعودية في هذه الأيام لتقول أنا هنا. اذ أن الخطوة السعودية تأتي لتعكس قمة جبل الجليد في علاقتها مع القوى الدولية. وتحديدا الولايات المتحدة. وهي بشكل أدق واحدة من لحظات الصدام بين الحليفين، وان اختلفت درجة الندية بينهما.

الجانب الأميركي، واضح انه حريص على المضي بالتسوية التي أبرمت مع روسيا في جنيف حتى نهاية المطاف، بل والبناء عليها من أجل توسيع نطاقها ليتخطى الكيماوي او جنيف ٢ وصولا إلى مجمل الوضع السوري.

أما السعودية فتدرك أن اي تسوية ستنعكس على نفوذها في سوريا سلبا. فالدور السعودي، ينقسم إلى شقين. الأول وعلى غرار العديد من الدول الاقليمية والغربية، كممول رئيسي لمجموعات من الكتائب المسلحة. والثاني عبر نفوذها داخل الائتلاف الذي نجحت قبل فترة في القيام بانقلاب داخله والاتيان باحمد العاسي الجربا رئيسا له فضلا عن توسعته بادخال مجموعات محسوبة عليها اليه.

هذا النفوذ ترى الولايات المتحدة أنه يشكل عائقا أمام تعزيز التسوية ويجب تقليصه، سواء برضا سعودي أو من دونه، وخصوصا أن سيطرة الكتائب المتشددة التي تدعم السعودية جزءا منها بات مهددا رئيسيا في نظر الادارة الأميركية ويجب التخلص منه. فضلا عن ان جنيف ٢ بصيغته الحالية يحتاج إلى تقديم الائتلاف لتنازلات تبدو السعودية غير قادرة على تقبلها في هذه اللحظة وتحاول الحيلولة دونها.

وهي لم تجد فرصة لاجبار الجانب الأميركي على الالتفات إليها سوى عبر هذه الصراخ عاليا من خلال رفض مقعد مجلس الأمن، علها تنجح في الحصول على ترضية تتيح العودة عن قرار رفض المقعد مجلس وبذات الوقت تحقق لنفسها بعض الانتصارات الدبلوماسية.

«عرفتُ الجحيم.. من سوريا الأسد الى مخيمات لبنان»

مقتطفات من كتاب صدر حديثًا عن دار «بلون» الفرنسية، عنوانه «عرفتُ الجحيم، من سوريا الأسد الى مخيمات لبنان». للراوئية فايزة د. والكاتبة جنان قارح تاجر. نشرت المقتطفات صحيفة «لوموند» الفرنسية (١١ تشرين الأول ٢٠١٣).

«صارت الزبداني خطراً على محمد، خطيبي. كان يعيش مختبئاً في أراضي بور. لا يعرف أحد بالضبط أين. لم يكن محمد يجرؤ على القيام بزيارة لي. كان يخشى أن يراقبه أحد، فتكون حياتي وحياة أهلي تحت دائرة الخطر. كان ملاحقاً كما الحيوان. تبحث عنه دمشق بالاسم. بذريعة انه هرب من الخدمة العسكرية وتحول الى «عدو من الداخل»، ومهدد بالتالي بحكم الاعدام. في صفوف رفاق محمد لم يبق عدد كبير على قيد الحياة. وكانت الشائعات الهامسة تقول بأن التمرد الآن أصبح يتمتع بدماء جديدة، بدعم جديد من رجال يتقنون فنون الحرب، وكلهم جنود أو ضباط كانوا قد انشقوا عن الجيش النظامي، ومقاتلون محترفون درسوا وتدربوا في روسيا. ولكن أيضا جهاديين كانوا يتدفقون من كل أنحاء العالم، من العراق الى باكستان وحتى من فرنسا والسويد وبريطانيا. لم نكن نحب هؤلاء الجهاديين. كنا نكره تعصبهم. كنا نناديهم بـ«طالبان»، ولكن كنا بحاجة اليهم. كانت شجاعتهم تتفوق على المعايير البشرية. كانوا يذهبون الى القتال من دون حساب للمخاطر، لم يكونوا يهربون من الموت. إنما كانوا يبحثون عنه... وكانوا، لو لزم الامر، يقاتلون بأياديهم أو بمجرد قاذفة صواريخ لمواجهة أرتال الدبابات. كانوا يتسابقون على التطوع من أجل تفجير أنفسهم بسيارات مفخخة. وكانوا يسببون أهدافهم أكثر مما يفعله شبابنا. كانوا يريدون الذهاب من هذه الدنيا وهم شهداء، لينضموا الى جنة الله، وهذه الفكرة كانت تمنحهم قوة خارقة. وطالما انهم أتوا الى هنا للجهاد، ولم تكن نيتهم البقاء عندنا، كنا مضطرين للقبول بهم وعدم الاعتراض على أعمالهم.

أخيراً قرر محمد، خطيبي، أن يرحل. اذ لم يتبق له أي حيز يتحرك ضمنه. كانت قوات الأسد كشفت هويته تماماً وصنفته كعدو. والأرجح أيضا ان في صفوف الجيش المنشق نفسه كان هناك جواسيس للأسد. تمكنوا من تحديد مكانه. فحاصروه، كان يعرف بأن توقيفه لم يعد سوى مسألة أيام، بل ساعات. قال لي على الهاتف بأنه سيرحل، وهو غارق في حزنه. وعدني بأنه سوف يتصل بي حالما يصل الى مكانه المقصود، لبنان على الأرجح، إذا تمكن من عبور الحدود. خرج مشيا على الأقدام، هو واثنين من رفاقه. الزبداني ليست بعيدة عن الحدود اللبنانية، ولكن الجبال التي تفصلنا عن لبنان كانت محشوة برجال النظام وبالألغام المضادة للأفراد (...).

ثم إنضم محمد الى قافلة اللاجئين. ولكنه كان لا يزال على قيد الحياة؛ وهذا هو الأهم بالنسبة لي. إتصل بي بعد وصوله الى لبنان وأفصح عن السبب الحقيقي لرحيله من سوريا. قال، «تركت الزبداني من أجلك، من أجل أن أتمكن من الالتقاء بك... عرفتُ طعم السعادة معك، وكان من الغباء أن أموت الآن، (...).

في هذه الأثناء، كان «الجيش السوري الحر» اكتسب مهنية قتالية عالية وأخذ يسيطر على بلدتنا ونواحيها. بالمقابل، أصبحت الانفجارات والصواريخ أكثر تكرارا، بمعدل الساعة أو الساعتين في النهار؛ ودائما بشكل مفاجئ، بحيث تكون القذائف الأولى حاصدة العدد الأعلى من المدنيين. الجيش النظامي أيضا أصبح أكثر مهنية. وكل قذيفة يلقيها علينا كانت تصل الى هدفها. كانت الناس تهمس بأن الواقفين على المدافع من الجنود السوريين قليلي الدقة، وبأنهم استبدلوا بأنفار من «الباسدران» الإيراني أو من ميليشيات «حزب الله».

أصوات الانفجارات كانت تقترب وتشعرنا باقتراب الخطر. كان واضحاً أن مدينتنا التي أعيد تحريرها أصبحت هدفا عسكريا. في شقتنا لم نجد زاوية واحدة توحي بالأمان، سقفها وجدرانها كان يمكن ان تخترقهما أتفه القذائف. التفجيرات تكثفت. في اليوم الثاني، نزلنا الى قبو بيت قديم قريب من عمارتنا، ووجدنا فيه عددا كبيرا من أهالي حينا. أو على الأقل الجيران الذين عادوا الى الزبداني، لأنهم لم يجدوا مكانا آخر يلجأون إليه. كرهت هذا القبو. كرهت هذا التجاور الذي كنا مرغمين عليه. كرهت بكاء الأطفال وشهيق الكبار. كان الجو فيه خانقا والصخب دائم. كنا مرصوصين مثل الجرذان. أكثرنا جرأة كان ينتظر أية هدنة ليخرج من هذا القبو، بعضهم يركض الى داره ويعود محمولا بالمؤن وقناني المياه (...).

هؤلاء كانوا يعرفون مكامن أوجاعنا، كانوا يتركوننا لساعات طويلة ننام على إطمئنان مطلق، ثم بضربة واحدة يطلقون سربا من القذائف ذات الأعيرة المختلفة.

كان واضحاً أن مدينتنا التي أعيد تحريرها أصبحت هدفا عسكريا. في شقتنا لم نجد زاوية واحدة توحي بالأمان، سقفها وجدرانها كان يمكن ان تخترقهما أتفه القذائف. التفجيرات تكثفت. في اليوم الثاني، نزلنا الى قبو بيت قديم قريب من عمارتنا، ووجدنا فيه عددا كبيرا من أهالي حينا. أو على الأقل الجيران الذين عادوا الى الزبداني، لأنهم لم يجدوا مكانا آخر يلجأون إليه. كرهت هذا القبو. كرهت هذا التجاور الذي كنا مرغمين عليه. كرهت بكاء الأطفال وشهيق الكبار. كان الجو فيه خانقا والصخب دائم. كنا مرصوصين مثل الجرذان. أكثرنا جرأة كان ينتظر أية هدنة ليخرج من هذا القبو، بعضهم يركض الى داره ويعود محمولا بالمؤن وقناني المياه (...).

الرأرأة السورية

حسان عباس

يدل مصطلح الرأرأة في لغة الطب على عَرَض سريري يشير إلى خلل في الأجهزة التي تتحكم بحركة العين ويعود إلى إصابات مرضية مختلفة. ويتصف هذا العرض بحركة اهتزاز لا إرادية للعين تجعلها تبتعد ببطء عن موضعها المركزي لتعود بسرعة إليه، وهكذا دواليك. وتسبب الرأرأة درجة من الخلل في الرؤية.

بعيداً من الطب، كانت تُلاحَظ لدى السوريين في سنوات حكم عائلة الأسد، خصوصاً زمن حكم الأب، حركة لا إرادية يقومون بها بعيونهم، وغالباً ما كانوا يتابعونها بكامل وجههم، حتى أصبحت كالعادة المكتسبة التي تميزهم عن سائر البشر. وتتميز هذه الحركة بانحراف كرة العين عن محورها لتتجه نحو النوافذ أو الأبواب، في الحيز الذي يجمعهم، فور نطقهم، أو نطق أحد مجالسيهم بكلمة أو إشارة تنال من القائد أو الحزب أو أجهزة الأمن ومن ينتمي إليها.

لم تكن هذه الحركة تعبيراً عن خلل في أجهزة التحكم بعضلات العين بقدر ما كانت تعبيراً عن قوة أجهزة التحكم في حياة المواطن السوري وشدة التصاقها به. ويقظتها في مراقبة درجة انقياده للضوابط التي وضعتها له. لقد بلغت قوة تلك الأجهزة، ونعني الأجهزة الأمنية طبعاً، درجة من التغلغل في حياة المواطنين حد أنه بات يتخيل أن ثمة شبحا يقف خلف كل منفذ في جدار ليترصّد الكلام، ويتصيّد الهفوات وزلّات اللسان. بل كان ذاك الشبح يقترب بعض الأحيان ليسكن في الزاوية الوحشية من العين، فما أن ينطق المرء بكلمة قد لا تتفق مع الضوابط حتى تنحرف العين نحو ذاك الشبح مسترضية، مسترجية، خائفة.

مع بدء الانتفاضة، وطوال مرحلة تحولها إلى ثورة، حافظ قسم من المواطنين على شبحهم خوفاً من شعوره بالضياع بعد أن صار مَعْلم ارتكازه في الوجود؛ وشحذ قسم آخر سكينه واستنفر للدفاع عنه لأنه اعتقد أن وجود الشبح ضمانة لبقائه. لكن القسم الأكبر، أي أولئك الذين انخرطوا عملياً أو فكرياً أو ميدانياً أو عاطفياً في الثورة، أو ناصروها، فقد تحرروا من طغيان الأشباح الجاثمة على نواصي حيواتهم وأرغموها على التلاشي، فتلاشت، بالمعنى الحقيقي للفعل تلاشى، أي أصبحت رويداً رويداً لاشيء.

غير أن أشباحا جديدة بدأت تظهر وتتغلغل في ثنايا الأنفس، بالتوازي مع انفلاش ساحة الصراع على العنف العاري الذي تشترك في ممارسته قوات الاستبداد الرسمي، مع قوات الإرهاب الديني. أشباح تنطلق من الكثير مما يتسرّب خلسة، والأكثر مما يُعرَض علنا، عن وحشية القوى ذات الرايات السود التي تسعى للهيمنة على المجتمع بأفكارها المنحدرة من لحظات غير مجيدة في تاريخ المنطقة.

تحتكر داعش (دولة الإرهاب في العراق والشام) حصة الأسد من الأخبار المطلقة لأشباح الخوف. تنطلق هذه الأشباح من صور أبطالها المتباهين بالرؤوس المقطوعة يرفعونها بأيديهم، ومن فيديوهات إعدام طفل رفض أن ينصاع لأمر أحد رجالاتهم؛ وتنطلق من فتاوى شيوخهم المغرقة في ابتذالها حول شكل اللباس والتدخين والرقابة على ما قد يتلفظ به اللسان، ومن حكايات تصرفاتهم المنسوخة عن تصرفات المطاوعين السعوديين التي لم يسبق للمجتمع السوري أن عرفها حتى في أكثر أيامه ظلما وكبتا.

هذه الأمور وغيرها تشكل عملية إعادة بناء لثقافة الخوف التي استطاع النظام تشريبها للسوريين قبل أن يستفيقوا وينتفضوا. لن يفيدنا الآن أن نناقش إن كان الخوف هو ذاته أو أن بعضه يفضل بعضه الآخر. ما يهم هو أنه في الحالتين يخسر المواطن السوري روحه، ويضيّع حقوقه، ويفقد القدرة على الرؤية الصحيحة ويتحوّل إلى كائن خائف تسبق حركة عينه نحو النوافذ والأبواب والأشخاص الغرباء حركة لسانه. وتعود الرأرأة كسمة ملازمة لشخصيته.

يقول الباحثون في طب العيون إن ثمة أربعين نوعاً من الرأرأة. ربما يجب اليوم إضافة نوع جديد، الرأرأة السورية.

«الرقيب الخالد» لزياد كلثوم

انحياز لسلمية الثورة وحق السوريين في الحياة

عرض خاص لفيلم «الرقيب الخالد» في سينما أبراج ببيروت.

تهامة الجندي

للجيش منزلة خاصة في تشكيلات الدولة السورية، على اعتبار أن البلد مهدد ومُقاوم، بحكم جواره لكيان العدو، منزلة بدأت من التبجيل في النشيد الوطني، «حماة الديار عليكم سلام، أبت أن تذل النفوس الكرام»، وانتقلت إلى الخدمة الإلزامية، المفتوحة الأمد، والمفروضة على كل مواطن ذكر، وتوسعت لتطال طلاب المرحلة الثانوية بفرض الزيّ العسكري الموحّد عليهم، ومادة الفتوة، ودورات الشبيبة الصيفية للتدريب على المبادئ الأولية للعسكرة، مرورا بالامتيازات الكبيرة التي تتمتع بها الرتب العليا من الضباط وما فوقهم، انتهاء بالميزانيات الهائلة التي اقتطعت من خبز الملايين، لتغطية نفقات تدريب هذا الجيش وتسليحه وبناء ترسانته الحربية، بما فيها الأسلحة الكيماوية، حتى غدا واحدا من أقوى جيوش المنطقة العربية.

جيش كان يعتز به جميع السوريين، قبل أن يصوّب رصاصه على صدورهم في بداية التظاهرات السلمية ٢٠١١، وتستوطن وجدانهم طعنة الغدر، وهم يرون شباب وشابات سوريا يسقطون قتلى في الشوارع، لا لذنب سوى أنهم طالبوا بالكرامة والحرية، الطعنة العميقة التي ترجمت بشعار المتظاهرين «اللي بيقتل شعبه خاين»، وأغنية سميح شقير الرائعة «يا حيف»، يومها كانت الفاجعة أعتى من أن يصدّقها عقل، دفعت بالعديد من عناصر الجيش أنفسهم للتمرد على الأوامر «فكيف يقتلون من أقسموا على حمايتهم...؟!»، وكان عقاب المتمردين التصفية الفورية، إلا من استطاع منهم أن يلوذ بالفرار خارج الحدود أو داخلها، ذلك قبل أن تتشكل نواة الجيش الحر، ويصبح الرصاص مزحة أمام طائرات النظام ومدفعيته وراجمات صواريخه، التي فتحت نيرانها على المدن، وفوق رؤوس العباد، وغدت عنوان الرعب والذهول الذي أصاب المواطنين في السنة الثانية من عمر الثورة السورية، ولا تزال مع إضافة فصل الأسلحة الكيماوية بدخول السنة الثالثة.

أسوق هذه المقدمة التي بات يعرفها الجميع، للإشارة إلى حجم الصدمة التي اعترت المدنيين والعسكريين، من جراء زج القوات المسلحة في قمع المتظاهرين السلميين، لأنها تشكل الخلفية الدراماتيكية، وسيرة ما قبل البداية، التي ينطلق منها فيلم زياد كلثوم الوثائقي «الرقيب الخالد»، الذي افتتحت أول عروضه في سينما أبراج ببيروت. فالفيلم يرصد الحياة في دمشق عام ٢٠١٢، من خلال عيون رقيب يؤدي خدمة العلم الإلزامية، هو نفسه المخرج الذي يعلن في نهاية المطاف انشقاقه عن الجيش السوري النظامي، وعدم التحاقه بكتائب الجيش الحر، مؤكدا أن الكاميرا هي سلاحه، والمفارقة أن العرض تزامن مع بدء بعثة المفتشين الدوليين بتفكيك ترسانة الأسلحة الكيماوية في سوريا.

يبدأ الفيلم بكادر مائل لغرفة متواضعة، تلتقطها عدسة جهاز خليوي، تستوي الصورة، وتتابع قدمين بحذاء، تخرجان إلى الشارع، تقطعان مسافات جرداء، يحدها سور، كتبت عليه شعارات البعث، وحدة، حرية، اشتراكية، يتحوّل الحذاء إلى بوط عسكري، يخبط الأرض، ويسمع دوي الانفجارات، تصل القدمان إلى الثكنة، تجول عين العدسة على الجدران، متداعية، لكنها ملينة بصور الأسرة الحاكمة، الأب والابن وأخيه، ومن خارج الكادر يقول صوت، «أنا الرقيب زياد كلثوم»، ويُغلق المشهد على جندي يلقم المدفع، وتنطلق القذيفة من الفوهة، وبإمكاننا أن نتخيّل حجم المجازفة التي قام بها المخرج أثناء التصوير داخل الثكنة بعدسة هاتفه النقال، في ظل المنع البات لاستخدام أي من أجهزة الاتصال.

في الشارع يرن جوّال الرقيب، ونسمع صوت رجل يسأله، إن كان بإمكانه الالتحاق بفريق التصوير، ويجيبه الرقيب أنه سيأتي بعد أن ينهي دوامه في الثكنة، ينتقل المشهد إلى المخرج محمد ملص، وهو يستعد لبدء تصوير فيلمه، ومنذ تلك اللحظة سوف يضع الفيلم ترسيماته الأساسية على أربعة محاور متوازية ومتداخلة، هي، الخدمة الإلزامية، طاقم التصوير، الحوارات ومحور الإعلام، وعلى الرغم من عدد الشخصيات الكبير الذي تتابعه الكاميرا، من النخبة المعروفة ومن العامة، فلن نقرأ على الشاشة أي اسم أو تعريف لأي منها، سوف يتقدم معظمها باسمه الأول، حين يُنادى عليه، وسوف نتعرّف على مهنة الشخصية من خلال ما تقوم أو تدلي به داخل الكادر، وهي علامة الفيلم الأولى، شخصيات بلا أسماء كاملة، أو ألقاب، تكتفي بكينونتها الإنسانية، وبالقاسم المشترك الذي يجمعها، مواصلة العيش في أقدم عاصمة مأهولة، تقطع أوصالها متاريس الأجهزة الأمنية، وتغطي سمائها الطائرات.

في محور الخدمة الإلزامية، يقتصر التصوير على المشاهد الداخلية، العدسة ترصد فوضى المكان، ومظاهر الإهمال والبؤس والطغيان، الأرضية متسخة، وعلى الطاولة ركام من الأوراق والملفات، الطعام بيض، والمشروب متة، الأسلاك الكهربائية تتدلى خارج العلب، الجدران مغطاة بصور قادة الأبد والشعارات، وصوت الإعلام السوري، يشكو المؤامرة الكونية التي تقوّض عزيمة الشعب.

في المحور الثاني لن نعرف عنوان الفيلم الذي يقوم بإخراجه ملص، لن نتعرّف على القصة، ولا الشخصيات، ولا المسير الذي آل إليه، سوف نتابع فقط بعض المشاهد المقتضبة والمتفرقة التي يجري تصويرها، وتتقاطع مع حال السوريين ذاك الحين، شاب يصعد أعلى السلم ويصرخ، فسان جباعي يمثل دور شخص تعتقله المخابرات، امرأة مسنة تسير نحو النافذة، وتقول، الطبيبة ماتت، وفي المقابل سوف يرصد هذا المحور المعوقات التي تواجه فريق العمل كل يوم، من صعوبة الوصول إلى أماكن التصوير بسبب الحواجز الأمنية والقصف، إلى منع الفريق من التصوير في بعض المناطق، ومن ثمة إيقاف عمله بسبب الوضع الأمني المتدهور، ومن اعتقال أحد أعضاء الطاقم من غرفته في الفندق، إلى صوت الحوّامات والقذائف الذي يشوّش على أصوات الممثلين وأدائهم، فيغدو الأمر أشبه بمهمة مستحيلة، تحاكي رحلة العذاب اليومية التي يكابدها كل سوري في الطريق إلى مكان عمله، أو قضاء حاجاته.

المحور الثالث التقطته عدسة زياد كلوم أثناء عمله مع محمد ملص، صوته يسأل من خارج الكادر، والشخصيات تلتفت نحوه وتجيبه، والارتجال سيد اللقطة، عيّنات مختلفة من البشر، ممثلون وتقنيون من ضمن الطاقم الفني وملص نفسه، أشخاص عاديون يتابعون مجريات التصوير، وآخرون ساقتهم المصادفة إلى المكان... في كثير من الأحيان لا نسمع السؤال، لكن معظمهم يبدأ الكلام ذاهلا، وبقدر شديد من التحفظ، وفي لحظة يكسر خوفه، يبوح وربما ينتحب، كروان قتل ابنه في المعركة، ويدمي قلبه أن يهلك الجيش السوري نفسه بنفسه، الحاجّة النازحة شيّعت أولادها في حمص، الشاب فقد والده في المعتقل... سجن كبير والجنازات لا تنتهي، وتقول جود كنرواني للعدسة التي تتبعها وهي تسير، «دمشق، قد تحترق غدا»... وحدها زوجة الضابط تتحدث بتحد ووعيد، عن بطولات شريكها في إبادة الإرهابيين، وعن ثقتها التامة بانتصار أفضل قادة العالم عليهم... تبرّر قتل المدنيين، وتدافع عن القاتل.

وبين يوميات الرقيب في الثكنة وأثناء التصوير، كانت الأخبار المتلفزة على قناتي العربية والجزيرة، ترصد عدد القتلى وحجم الدمار، بينما كانت الفضائية السورية تمجّد الجيش الباسل، وتدعو الشباب للالتحاق في صفوفه، لينتهي المحور الرابع بمشهد الجثث من الفريقين المتحاربين، النظامي والحر، ويختم الفيلم تفاصيله بإعلان صك البراءة من كلا الطرفين، منتصرا لسلمية الثورة، وحق السوريين في الحياة.

قدّم الفيلم وثيقة حارة عن حياة عاصمة تحتضر، وأناس يقاومون الموت، في مشاهد تلقائية، بعيدة عن العنف الذي يحصد الأرواح، قريبة من الألم الذي يسكن القلوب، مشاهد لم يُمارس المخرج سلطته عليها، ولم يقحمها بأشرطة الفيديو المسربة عن هول ما يجري، بقدر ما صبّ جهده، اللافت للانتباه، على توليف اللقطات الوثائقية، ورصفها في سياق درامي تصاعدي، يوازي دراما الواقع السوري بتجلياته المختلفة، فعل ذلك بحذاقة كاتب يصف المفردات في جمل تكتسي بالكنايات، وتفيض بالمجاز المفتوح على الأسئلة والتداعيات.

الساروت.. حارس الكرامة

راشد عيسى

منذ بداية الثورة السورية، واشتعالها في مدينة حمص خصوصاً، اكتشف السوريون أن حارس "الكرامة"، حارس فريق "الكرامة" الحمصي لكرة القدم، لم يكن مجرد حارس مرمى، بل هو بالفعل حارس الكرامة، ولشدة ما افتتن السوريون بهذا التطابق الفريد بين الواقع والمجاز، ذلك الحارس كان عبد الباسط الساروت (تسعة عشر عاماً آنذاك)، وهو سرعان ما انضم إلى التظاهرات العارمة في مدينة حمص، بل أصبح هو منشدها ومغنيها.

الساروت اليوم هو موضوع الفيلم السينمائي التسجيلي "العودة إلى حمص" (٨٨ دقيقة)، الذي استغرق المخرج السوري طلال ديركي عامين لانجازه، والذي سيظهر إلى النور قريباً في "مهرجان أمستردام للفيلم التسجيلي" كأول فيلم عربي يعرض في الافتتاح، ومشاركاً في المسابقة الرسمية للفيلم الطويل.

لكن وراء الساروت هناك حكاية الثورة والحدث السوري، على ما يقول المخرج ديركي لـ"المدن"، حيث "الفيلم مبني على نقل الحدث السوري من خلال متابعة تفاصيل يومية ومفارقات سعية واجهت شابين فاعلين في الثورة، الأول هو الساروت من حي البياضة، حارس مرمى نادي الكرامة، الذي أصبح منشد تظاهرات حمص، إلى أن التحق برفاقه في الدفاع عن المدينة، وأصبح قائد إحدى المجموعات المنضوية تحت جناح الجيش الحر، والشاب الثاني هو أسامة الحمصي، مصور وإعلامي من حي الخالدية".

المخرج كان يتحرك في مدن سورية عديدة مع بدايات الثورة مشاركاً في التصوير وفي العمل الصحافي كما يقول، وفي حمص تعرّف إلى الساروت "كان ذلك أثناء عملي مع أسامة الحمصي. تعرفت إليه، رأيت العزم والتصميم، وأعجبت بجرأته وأغنياته، التي كانت بدأت تردد في أنحاء سوريا. أيقنت من متابعتي له أن هناك حكايات قادمة لا محالة. وسرعان ما بدأ النظام بحملة تأديبية له ولمحيطه، ودخل باسط في طريق اللاعودة في المطالبة بإسقاط النظام".

فيلم كهذا، لا بد أنه كان عملاً محفوفاً بالمخاطر، حيث "الطريق من دمشق (حيث كان يقيم المخرج) إلى حمص مليء بالحواجز. الخطورة كانت أكبر حينما تدخل المدينة، حيث الحواجز والقناصة المنتشرون بكثافة على أسطح المباني وداخل بيوت محددة، يطلقون النار مباشرة لدى رؤية أية كاميرا. هذا إلى جانب القصف المنهج للمدينة، والمعارك على جبهات كثيرة، والحصار القاتل".

هكذا اضطر المخرج إلى الاعتماد على مصور متواجد دائما بجوار الساروت والحمصي "فيما كنت في الأوقات الأخرى، أنا ومنتج الفيلم عروة نيربية، نصور المشاهد المؤسسة للبنية الدرامية ولصلب الفيلم، وفي غيابنا، وتحديداً حين بقينا في دمشق وخضعت حمص لحصار صارم، كان المصور ينسق معنا بشكل يومي من خلال النت الفضائي".

المخرج لم يكن بعيداً عن الخطر، فهو كما يقول "جزء من الثورة، وقد تجاوزنا منذ اللحظة الأولى حاجز الخوف، كان الخوف ألا يكتمل المشروع، وكانت المجازفة كبيرة بوجود السوريين الشجعان على خط الجبهة بمواجهات الدبابات والقذائف والطيران".

لحظات الخوف ومواجهة الموت تبدو جزءاً من فيلم من هذا النوع، من دونها لا شك سيصبح فيلماً آخر "لا تستطيع أن تعود إلى حياتك السابقة بعد هكذا فيلم. في المستقبل سيأتي شخص وينجز فيلماً روائياً عن تجربة الساروت، وقصة حياته المثيرة للجدل، لكن هذا الكاتب أو المخرج، سيغادر منزله سياحاً بثيابه الأنيقة، ويوصل ابنه للمدرسة ويتابع نحو موقع التصوير، القهوة في انتظاره والمساعدون والممثلون كذلك، زوجته ستكون مطمئنة تمارس حياتها بأريحية، لا خطر على مصيره من الموت أو الاعتقال والتصفية، لن يعرف من (وما) هو الساروت، ومن هم أولئك الذين مات معظمهم. لن يسأله الساروت الحقيقي، ماذا نفعل الآن؟.. لن يكون جزءاً من التاريخ. هنا يكون الفيلم التسجيلي منتصراً على باقي الفنون".

ولدى سؤال المخرج ديركي إن كان الساروت شاهد نسخة من الفيلم، قال: "لقد شاهده في ظروف جداً سعية، فهو داخل الحصار، وحي الخالدية سقط في يد النظام، استشهد أخوه وخاله أيضاً قبل أسابيع، ووضعه الصحي سيء جداً، لكنه على دراية كاملة بمشاهد الفيلم، ومقتنع تماماً بضرورته، هو الذي حضر أمام الكاميرات حين كان الجميع خائفاً، وغاب حين أصبحت المسألة متاحة للكثيرين". وأضاف ديركي: "تربطنا صداقة قوية، وتفهّم كل منا لدور الآخر ولأهميته، هو يعلم تماماً ما أنا مقدم عليه، يتناسى حضور الكاميرا في كثير من الأوقات، اعتاد على حضورنا الدائم، لا يختلف البتة في الواقع عنه أمام الكاميرا".

وإذا كانت سوريا بعد اندلاع الثورة شهدت انتعاشاً هائلاً في إنتاج الفيلم التسجيلي، فإن مخرج "العودة إلى حمص" علّق على ما أسماه "الثورة البصرية" بالقول: "المشكلة تكمن في غياب الصبر والوعي بالتعامل مع المادة المتابعة، فن كتابة الحكاية، وفن خلق العنصر الإنساني والعاطفي وخلق خطوط درامية أو البحث عنها في مناطق الصراع، يبقى غائباً أمام الحضور الإخباري العام للثورة، شخوص كثيرة عاشت وماتت قربنا ولم نعرها انتباهنا، كذلك تجد أن الجانب الإعلامي في الثورة نحو تراجع بسبب هيمنة المال السياسي على الثوار والكتائب، أصبح الإعلامي محكوم بالعمل فقط لمصلحة الجهة التي ينتسب لها وتؤمن له دخله". لكن ديركي استدرك بالقول: "هناك الكثير من الشباب الذين أشق فيهم يعملون أفلامهم بصمت وصبر كبير، ويتحدون الموت، ومنهم أيضاً من هو معتقل لدى النظام أو لدى جهات مثل داعش وغيرها، مقيمة على التراب السوري".

هل تم تجنب الأزمة في سوريا؟ ليس بهذه السرعة

واشنطن بوست

ترجمة : قسم الترجمة في مركز الشرق العربي

بعد شهرين من الهجوم المرعب بغاز السارين الذي دفع سوريا إلى محور انتباه واشنطن، يبدو أن ما حدث أصبح طي النسيان. يقول المفتشون الدوليون إن خطة التخلص من ترسانة أسلحة النظام الكيميائية، التي انتهى بها المطاف إلى أن تكون رد الرئيس أوباما على الجريمة، تسير بسلاسة نسبيا. في الكونغرس، تحول جدل السياسة الخارجية نحو إيران. إذا هل انتهت الأزمة؟ يبدو أن السيد أوباما يعتقد ذلك. وكذلك بشار الأسد.

في مقابلة نشرتها الأسبوع الماضي صحيفة الأخبار، بدا الدكتاتور السوري سعيدا ومرتاحا لوضعه. حتى إنه لم يبدي أي "ندم" لخسارته الأسلحة الكيمائية، حيث ورد في الصحيفة : "إنه يعتبرها بمثابة أسلحة ردع أصبحت جزء من الماضي الآن". كما أوضح الأسد أن المستهدف من غاز السارين كان إسرائيل، ولكن إسرائيل طورت إجراءات مضادة وصواريخ سوريا البالستية أصبحت تشكل الآن تهديدا أكثر قوة للدولة اليهودية.

صحيح إنه كان يأمل في استخدام ترسانته من الأسلحة الكيماوية – التي لم تشهد أي زيادة منذ عام ١٩٩٧- من أجل حمل إسرائيل على التخلي عن أسلحتها النووية، كما قال الأسد. ولكن الأسلحة استخدمت الآن لفائدة ملموسة أكثر، وذلك " من اجل إزالة تهديد التعرض للهجوم" من قبل الولايات المتحدة. مما أعاد فتح الطريق أمام النظام لشن الحرب مرة أخرى ضد المدنيين. في الأسابيع الأخيرة استأنفت الطائرات السورية قصفها في المناطق الحضرية، بينما تستخدم القوات البرية طريقة جديدة للقضاء على المقاومة في ضواحي دمشق التي كانت هدفا لهجوم الغاز في ٢١ أغسطس تتمثل في منع وصول إمدادات الغذاء بهدف تجويع السكان.

وزير الخارجية جون كيري يقول إنه سوف يعقد مؤتمر السلام نهاية الشهر القادم في جنيف. كما يقول إن المؤتمر يجب أن يؤدي إلى تشكيل حكومة انتقالية تستبعد زمرة الأسد ويوافق عليها كلا الجانبين. ولكن الأسد غير مهتم بجنيف، إذا قال الدكتاتور إن المؤتمر "ربما يعقد من أجل إرضاء روسيا فقط". مما قد يغري إدارة أوباما بقبول المبادرة. ولكنه يشك في ذلك. ويضيف : "مشكلة الغرب أن المعسكر الذي يدعمه في المفاوضات منقسم وليس له أي سيطرة على الأرض". إذا كان هناك مؤتمر، فإن النظام سوف يصر على بقاء الرئيس في منصبه حتى تنتهي فترة رئاسته وذلك حتى منتصف العام القادم كما أن لديه الحق في إعادة الانتخاب، وليس هناك أي مؤشر على أن روسيا تعارض ذلك.

بيانات الأسد الأخيرة ربما يبدو فيها الكثير من التهديد والوعيد، ولكنها فارغة. النظام عمل على استبدال ترسانة أسلحته التي ابتعدت عن هدفها الأصلي مقابل تجنب ضربة عسكرية أمريكية كان من شأنها تغيير موازين القوة في الحرب الأهلية. هذا الاتفاق أدى إلى المزيد من الانقسامات في المعارضة المدعومة أمريكيا كما أنه أدى إلى تبديل بعض مجموعات المتمردين ولاءها نحو الإسلاميين. يبدو أن مؤتمر جنيف مشكوك في أمره، ويعود ذلك بجزء منه إلى أن الدبلوماسيين الأمريكان غير قادرين على توضيح كيفية مغادرة الأسد للسلطة، ربما من غير المفاجئ أن الأسد و ليس أوباما هو من يريد الحديث عن هذا الأمر، بالنسبة للولايات المتحدة، يبدو أن الصورة قاتمة ومخزية تماما.

من هو الدكتاتور؟

روبرت كابلان
ريال كلير بوليتيكس

ترجمة : قسم الترجمة في مركز الشرق العربي

من هو الدكتاتور، أو المستبد؟ أراهن أنك تعتقد أنك تعرف. لكن ربما لا. طبعا، أدولف هتلر وجوزيف ستالين وماو تسي تونغ كانوا دكتاتوريين. وكذلك كان صدام حسين وكلا من حافظ وبشار الأسد. ولكن في عدة حالات فإن الوضع ليس بتلك البساطة والوضوح. في العديد من الحالات فإن الواقع – والأخلاق- التي تحكم الموقف تكون أكثر تعقيدا.

دينغ شياو بينغ كان دكتاتورا، صحيح؟ بعد كل شيء، فقد كان رئيس الحزب الشيوعي في الصين من عام ١٩٧٨ إلى عام ١٩٩٢. ولم يكن منتخبا. وحكم من خلال الخوف. كما وافق على ذبح المتظاهرين في ميدان تيانمين في بكين عام ١٩٨٩. ولكنه قاد الصين أيضا باتجاه اقتصاد السوق الذي أدى إلى رفع مستوى المعيشة ودرجة حريات الأفراد للمزيد من الناس في فترة ربما تكون أقصر من أي وقت زمني آخر مسجل في التاريخ لمثل هذا التحول الاقتصادي. من أجل هذا الانجاز، ربما يجادل المرء بأنه يمكن تصنيف دينغ كواحد من أعظم الرجال في القرن العشرين، على قدم المساواة مع وينستون تشرتشيل وفرانكلين روزفيلت.

ولذلك ليس من العدل وضع دينغ في نفس الفئة مع صدام حسين، أو حتى مع حسني مبارك، زعيم مصر السابق. أي منهم أدى حكمه العقيم إلى إعداد شعبه للمزيد من الانفتاح المجتمعي؟ فوق جميع الاعتبارات ليس هناك أي من هؤلاء الرجال الثلاثة جاء إلى الحكم عن طريق الانتخابات. وجميعهم حكموا من خلال الخوف. فلماذا لا نضعهم جميعهم في نفس المجموعة؟

أو ماذا عن لي كوان يو و زين العابدين بن علي؟ خلال المراحل الأولى لحكم لي لسنغافورة تصرف بطريقة استبدادية، كما فعل بن علي خلال طيلة فترة حكمه لتونس. إذا ألا يستحقان أن تصنفهما بالمستبدان؟ لقد رفع لي مستوى الحياة ونوعيتها في سنغافورة من دولة كانت مساوية لبعض أفقر الدول الإفريقية في الستينات إلى دولة تعادل أغنى الدول الغربية في بداية التسعينات. كما وضع أسسا للجدارة (نظام لمكافأة الفرد بناء على إنجازاته ولس على أمواله أو معارفه، المترجم) والحكم الرشيد والتخطيط الحضري على أساس عالمي. مذكرت لي ذات الجزأين يمكن قراءتها كما تتم قراءة حياة النبلاء اليونان والرمان. ولكن بن علي وعلى النقيض من ذلك، كان مجرد سفاح خادم لأجهزة الأمن جمع ما بين التوحش وأقصى مستويات الفساد، كما كان الإصلاح غائبا تماما عن حكمه، مثل مبارك، فقد ضمن الاستقرار ولكن لم يقدم أي شيء آخر.

فهمتهم الفكرة. إن تقسيم العالم ما بين أسود وأبيض بين الدكتاتوريين والديمقراطيين يفتقر تماما للمعنى السياسي والتعقيد الأخلاقي للوضع على الأرض في الكثير من البلاد. إن تقسيم الأمور ما بين ديمقراطيين ودكتاتوريين واسع جدا لفهم العديد من المناطق وحكامها – وبالتالي تقديم فهم كاف للجغرافيا السياسية. بالتأكيد هناك فضيلة في ذلك من خلال تبسيط التفكير وتقديم الأمور. إن تبسيط الأنماط المعقدة يسمح للناس إدراك الحقائق الأساسية التي ربما لا يدركوها في حالة عدم تبسيطها. ولكن ولأن الحقيقة ذات طبيعة معقدة، فإن الكثير من التبسيط يؤدي إلى رؤية بدائية للعالم. واحدة من أفضل الأمور بالنسبة للمثقفين والمتخصصين في الجغرافيا السياسية هي ميلهم لمكافأة التفكير المعقد وقدرتهم المساحية على رسم الأبعاد بصورة دقيقة.

إن التمييز الجيد يجب أن يكون حول ما تدور حوله الجغرافيا والعلوم السياسية. وهو يعني أننا نتعرف على العالم من خلال معرفتنا أنه كما أن هناك ديمقراطيون سيئون فإن هناك دكتاتوريون جيدون. في العديد من الحالات فإنه لا يجب تصنيف حكام العالم ما بين أبيض وأسود، ولكن هناك ظلال كثيرة غير محددة، تغطي الطيف ما بين الأسود والأبيض.

المزيد من الأمثلة:

نواز شريف ومنافسته الراحلة بنازير بوتو، عندما حكموا باكستان بالتناوب في التسعينات، كانت إدارتهما رهيبة. كلاهما كان منتخبا. لكن كلاهما حكم بطريقة غير منضبطة وفاسدة وغير حكيمة مما جعل البلاد أقل استقرارا ومهدا الطريق لوجود حكم العسكر. لقد كانا ديمقراطيين ولكنهما لم يكونا ليبراليين.

الملك حسين ملك الأردن الراحل والراحل بارك تشونغ في كوريا الجنوبية كانا دكتاتوريان، ولكن الديناميكية والحكم المستنير أدى إلى تغيير قطع جغرافية غير مستقرة وجلبا لهما النمو وحالة من الاستقرار النسبي. لقد كانا دكتاتوريان ولكنها ليبراليان في نفس الوقت.

وسط هذا التعقيد السياسي والأخلاقي الذي يعصف بمناطق مختلفة من الأرض، ظهرت بعض النماذج الأخرى. على العموم. الدكتاتوريون الآسيويون حكموا بطريقة أفضل من نظرائهم الشرق أوسطيين. دينغ في الصين، لي في سنغافورة، بارك في كوريا الجنوبية، مهاتير محمد في ماليزيا، تشيانغ كاي تشيك في تايوان، جميعهم كانوا مستبدين بدرجة أو بأخرى. ولكن شموليتهم قادت إلى تطور اقتصادي وتكنولوجي وإلى حكم أفضل وإلى تحسين نوعية الحياة. الأهم من ذلك كله، فإن حكمهم، مهما كان ناقصا، أدى إلى تحسين وضع مجتمعاتهم وبالتالي التحول نحو الإصلاحات الديمقراطية فيما بعد. جميع هؤلاء الرجال، من ضمنهم مهاتير المسلم، كانوا متأثرين بطريقة غير مباشرة وغامضة بمجموعة من التعالم الكونفوشيوسية، والتي تتضمن: احترام التسلسل الهرمي وكبار السن وبشكل عام الحياة الأخلاقية العامة في هذا العالم.

كل ذلك يقف على نقيض من حالة الدكتاتوريين العرب مثل بن علي في تونس ومبارك في مصر وصدام في العراق وعائلة الأسد في سوريا.كما أنه صحيح أن بن علي ومبارك كانا أقل قمعا من صدام والأسد الراحل. وعلاوة على ذلك فقد شجع كل من بن علي ومبارك على بعض التطور في الطبقة المتوسطة في بلادهم. ولكنهما لم يكونا مصلحين أخلاقيين بأي شكل من الأشكال. وبالطبع صدام والأسد كانا متوحشين تماما. فقد حكموا البلاد بطريقة خانقة من القمع بحيث حولوها إلى زنزانة صغيرة. وبدلا من الحكم بالكونفوشسية فقد حكم كل من صدام والأسد مدفوعان بالبعثية، وهي صورة من صورة الاشتراكية العربية التي تعارض بشراسة الاستعمار الغربي ولكنها خلقت حالة استبداد سيئة جدا.

خارج الشرق الأوسط وآسيا هناك حالة روسيا، في التسعينات، حكم بوريس يلتسن البلاد، وهو رجل أشاد الغرب به على أنه ديمقراطي. ولكن حكمه غير المنضبط أدى إلى حالة من الفوضى الاقتصادية والاجتماعية. فلاديمير بوتين، من ناحية أخرى، أكثر قربا من الاستبداد – وهو يظهر ذلك بصورة متسارعة- ويحظى بحالة من الازدراء في الغرب. ولكن، وبمساعدة أسعار الطاقة المتزايدة، أعاد روسيا إلى نوع من أنواع الاستقرار، وبهذا حسن بصورة سريعة نوعية الحياة بالنسبة للروسي العادي. وقام بذلك دون اللجوء إلى مستوى الاستبداد- مع اختفاء تام لمخيمات العمل في سيبيريا- العائد إلى القياصرة القدماء.

وأخيرا، هناك قضية أخلاقية أكثر إرباكا بالنسبة للجميع وهي قضية الدكتاتور التشيلي الراحل أوغستو بينوشيه. في السبعينات والثمانينات، خلق بينوشيه أكثر من مليون فرصة عمل، وعمل على تخفيض معدل الفقر من ثلث عدد السكان إلى أقل من العشر، وخفض معدل وفيات الأطفال من ٧٨ لكل ١٠٠٠ إلى ١٨. و كانت تشيلي في عهد بينوشيه واحدة من الدول غير الآسيوية القليلة في العالم التي شهدت معدل نمو اقتصادي مرتفع في ذلك الوقت. لقد أعد بينوشيه بلاده بصورة جيدة للديمقراطية، حتى أن سياسته الاقتصادية أصبحت نموذجا للنمو في عالم ما بعد الشيوعية. ولكن بينوشيه كان موضعا للكراهية ما بين الليبراليين والحقوقيين في العالم بسبب سنوات من ممارسة التعذيب الممنهج ضد عشرات الآلاف من الضحايا. وهكذا أين يمكن وضعه ضمن الطيف ما بين الأسود والأبيض؟

ليست الشئون الدولية فقط هي من يمتلك ظلالا غير محددة، ولكن في بعض الأحيان يصبح من المستحيل معرفة أين يمكن تصنيف شخص ما على هذا الطيف. إن قضية ما إذا كانت الغايات تبرر الوسائل لا يجب أن يتم الإجابة عليها من خلال الأسلوب الميتافيزيقي، ولكن يجب الإجابة عليه من خلال الملاحظة التجريبية. حيث إن بعض الغايات تبرر الوسائل، وبعضها لا. في بعض الأحيان تكون الوسائل غير مرتبطة أبدا بالغايات، ولهذا فهي يجب أن تدان.. كما في حالة تشيلي. هذه هي معضلة العالم السياسية والأخلاقية. التعقيد والتمييز الدقيق أمور يجب تتبنى، وإلا فإن العلوم السياسية والجغرافيا السياسية والتخصصات المرتبطة يمكن أن تؤدي إلى التضليل عوضا عن التنوير.